الجبَّار

اسم الجبار اسم من أسماء الله الحسنى ، وقد ورد في آية :

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر : ٢٣] .

تتداخل أحياناً صفات الإنسان مع صفات الخالق ، فلابد من التوضيح بأن هناك صفات إذا نسبت للخالق فهي صفات كمال ، أما إذا نسبت إلى المخلوق فهي صفات نقص ، فإذا وصفنا إنساناً بأنه جبار فهذه صفة نقص فيه ، لماذا ؟ إن وجود الإنسان مستعار ، وهو مستمد من الله عز وجل ، خُلق الإنسان ضعيفاً ، خُلق الإنسان عجولاً ، خُلق الإنسان هلوعاً ، هذا الإنسان الذي يوصف بأنه جبار هل بإمكانه أن يضمن استمرار حياته ثانية واحدة ؟ عشرات الأشخاص كل يوم يموتون بسبب وبلا سبب ، ومع تقدم العلم أصبح يقول الطبيب : سكته دماغية ، أو سكته قلبية ، أو هبوط مفاجىء في وظائف الكليتين ، أو تشمع في الكبد ، ونحن بين أظهرنا أشخاص كثيرون ، كانت لهم آمال طويلة جداً كل هذه الآمال تبددت ؛ لأن خللاً طفيفاً جداً أصاب أجهزتهم .

شاب كان في الصف الرابع في كلية الطب ، وكان من أذكى

الطلاب ، ومن أصحهم جسماً ، ومن ألينهم عوداً ، يتمتع بصفات في شبابه نادرة ، ومن أسرة ميسورة ، فجأة شعر بوهن في جسمه ، وبضعف في قواه ، وبدا اصفرار في وجهه ، الطبيب الأول قال : هناك فقر في الدم ، وكذلك أكد الطبيب الثاني ، بأن هناك فقراً في الدم ، ليس لهذا الفقر أسباب ، شاب في ريعان الشباب ، من أسرة ميسورة ، أي فقر دم هذا ؟ ثم اكتشف في النهاية ، أن في طحاله نشاطاً زائداً .

الطحال مستودع للدم ، ومعمل احتياطي لكرات الدم ، ومقبرة لكرات الدم الميتة ، ففي الثانية الواحدة يموت في جسم الإنسان مليونان ونصف كرية دم ، هذه الكريات التي ماتت تذهب إلى الطحال ، وفي الطحال ، وبطريقة اقتصادية ، تهدم هذه الكريات ، وتعاد إلى أصول تكوينها : حديد ، وهيموغلوبين ، الحديد يرسل ـ ثانية ـ إلى معامل كريات الدم الحمراء ، في نقي العظام ، ليعاد تصنيعه ، والهيموغلوبين يذهب إلى الكبد ليشكل الصفراء ، أخذت خزعة من طحال هذا الشاب وأرسلت إلى بلد غربي متقدم ، فكان الجواب أن الطحال يقوم بنشاط زائد يأخذ الكرية الحمراء الميتة ويحللها ، ويأخذ الكرية الحية ويميتها ويحللها ، فأصبح هناك نقص مستمر في كريات الدم الحمراء ، وانتهى أجله ، ومات في ريعان الشباب ، فإذا قال : أنا ! من أنت ؟ فالطحال لأنه عمل بنشاط أكبر ، كان سبباً في إنهاء حياة الإنسان .

شخص آخر أصيب بمرض نادر ؛ فقر دم لا مصنع ، أي : إنّ معامل كريات الدم الحمراء تكفُّ ذاتياً عن صنع هذه الكريات ، وهذا المرض العضال مجهول الأسباب ، ويعد سبباً في إنهاء حياة

الإنسان ، وهناك الهبوط المفاجىء في وظائف الكليتين مرض عضال يجعل حياة الإنسان جحيماً لايطاق ، وهناك التشمع في الكبد. . . فالإنسان لا تستمر حياته بلا كبد أكثر من ثلاث ساعات ، وهناك نقطة دم تتجمد في بعض شرايين المخ ، في مكان ما يصاب الإنسان بالصمم ، في مكان آخر يصاب الإنسان بالعمى ، في مكان ثالث يصاب الإنسان بفقد الذاكرة ، في مكان رابع يصاب الإنسان بالشلل ، فهذا الذي يقول : أنا. . . هو أحمق ، لمجرد أن يقول : أنا ، فإذا وصف الإنسان بأنه جبار ، هذه صفة ذم في الإنسان ، لأن وجود الإنسان مفتقر إلى إمداد الله عز وجل ، وجود الإنسان تابع لمشيئة الله ، قوة الإنسان تابعة لمشيئة الله ، محاكمة الإنسان تابعة لمشيئة الله ، عقل الإنسان تابع لمشيئة الله ، فإذا قلنا : فلان جبار فإننا نصفه بالحمق ، لأنه يدعي ماليس له ، يدعي حجماً ليس له ، يدعي قوة ليست قوته ، أما إذا وصفنا خالق الكون الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الحي القيوم ، الذي لارادَّ لحكمه ، إذا وصفنا خالق الكون بأنه جبار فهذه صفة مدح ، وصفة تنزيه من جهة ، وصفة من صفات الذات لله عز وجل .

ويقاس على ذلك. . . إذا قلنا : فلان متكبر ، فهذه صفة ذم ، أما إذا قلنا : الله عز وجل متكبر ، فهذه صفة مدح ، الإنسان إذا تكبر يتكبر بغير حق ، أما ربنا عز وجل فمتكبر لأنه كبير فعلاً ، لأنه عظيم ، لأنه قوي ، لأنه خالق ، لأنه رب ، لأنه مسير .

أردت من هذه المقدمة أن يتقبل القارىءُ فكرة أن يتصف إنسان بصفة ، فنعدها ذماً ، وأن يوصف خالق الكون بهذه الصفة ، فنعدها مدحاً .

نحن في حياتنا عندنا شيء من هذا القبيل ، يوصف الرجل بأنه كريم مدحاً ، وتوصف المرأة بأنها كريمة ذماً ، لأن المرأة إذا بذلت من مال زوجها من دون إذنه ، وأتلفت ماله . . . هذه صفة ليست صفة مدح في المرأة ، إنها صفة ذم ، نصف إنساناً أحياناً بالجرأة ، وهو في موقع ، وقد تكون هذا الجرأة في موقع آخر تهوراً وحمقاً .

كلمة الجبار لها معان عدة :

المعنى الأول : الجبار هو العالي الذي لايُنال ، نقول : نخلة جبارة لارتفاعها ، فلا نستطيع قطف ثمرها ، نقول : ناقة جبارة يصعب أن نركبها ، والله سبحانه وتعالى يقول في قرآنه الكريم :

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ [المائدة : ٢٢] .

أي : أقوياء أشداء ، لايرحمون ولايلينون .

أما إذا قلنا : فلان جبار أي : إنه إنسان لا يتواضع ، متعاظم ، متكبر ، لاينقاد إلى أحد ، ولكن تأكدوا أن هذا الذي يصف نفسه بأنه جبار ، أو يتصرف على أنه جبار ، أي متعاظم متكبر ، لاينقاد إلى أحد ، لا يخضع لأحدٍ ، لا يتواضع أبداً ، مثل هذا الإنسان ، لابد أن يقصمه الله عز وجل قصماً ، لذلك ترون وتسمعون في كل زمان وفي كل مكان عن جبار من جبابرة الأرض قصمه الله عز وجل ، وجعله عبرة لمن يعتبر ، لأن الكبرياء من صفات الله عز وجل ، والعظمة من صفات الله عز وجل ، فإذا جاء مخلوق حادث ضعيف ، ونازع الله هذه الصفات ، قصمه الله عز وجل[١] .

---

(١) روى البخاري في الأدب المفرد والطبراني بسند صحيح من حديث فضالة بن عبيد أن=

الجبار هو الله عز وجل ، لأنه لا تناله الأفكار ، ولا تحيط به الأبصار ، ولا يصل إلى كنهه عقول العقلاء ، كل من بحث في أسماء الله الحسنى إلى يوم القيامة ، لا يستطيع أن يحيط بذات الله عز وجل ، كل ما كتب لم يكن سوى عملية تبسيط ، وعملية تقريب ، وعملية توضيح ، أما أن تستطيع أن تحيط بالله عز وجل هذا شيء مستحيل ، لذلك الجبار هو الله عز وجل الذي لا تناله الأفكار ، ولا تحيط به الأبصار ، ولا يصل إلى كنهه عقول العقلاء .

لذلك من الجهل ، والتنطع ، والتطاول أن تظن أنه بإمكانك أن تفهم كل شيء عن الله ، هذه فكرة مغلوطة ، فعين العلم به عين الجهل به ، وعين الجهل به عين العلم به ، والعجز عن إدراك الإدراك إدراك ، أي : إذا قلت : لا أعلم عن الله إلا في حدود ضيقة جداً فأنت عالم ، هذه صفة علم فيك ، إذا قلت : لا أعلم فأنت العالم ، أما إذا أردت أن تقنع الناس ببساطة أنه بإمكانك أن تعرف كل شيء فهذا دليل عجز ، هذا المعنى الأول من معاني اسم الجبار الإله العظيم التي لاتناله الأفكار ، ولا تحيط به الأبصار ، ولا يصل إلى كنهه عقول العقلاء ، وهو من صفات التنزيه .

المعنى الثاني : الجبار ، والقول المشهور : ما عُبِدَ الله في الأرض بأفضل من جبر الخواطر ، جبرت العظم : أصلحته ، المجبر : هو الذي يجبر العظم ، الجبار بهذا المعنى هو : المصلح للأمور ، كلما

= رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا تسأل عنهم : رجل ينازع الله إزاره ورجل ينازع الله رداءه فإن رداءه الكبرياء وإزاره العز ، ورجل شك من أمر الله ، والقنوط من رحمة الله » .

حصلت مشكلة ، تهدم شيء ، افتقر إنسان ، تضعضع إنسان ، خالق الكون ، رب العالمين ، هو الجبار يرأب الصدع ، ويلم الشمل ، ويغني الفقير ، ويجبر الكسير ، ويعطي المحروم ، ويرفع الذليل ، لذلك كلما جئت الله عز وجل خاضعاً منكسراً جبر كسرك ، ولمَّ شعثك ، ورأب صدعك ، وقوى ضعفك ، وأغنى فقرك ، ورفع شأنك ، هذا معنى آخر للجبار : المصلح .

المصلح للأمور ، تقول : جبرت الكسر إذا أصلحته ، جبرت الفقير إذا أنعشته فهو جابر ، أما الجبار فهو كثير الجبر نوعاً وكماً ، تقول مثلاً : جبار ، لإنسان أعطى مئة رجل فقير لم تقل له : جابر بل : جبار لأن عطاءه شمل مئة إنسان ، أما إذا أعطى إنساناً واحداً عطاءً كبيراً فهو أيضاً : جبار ، فالمبالغة مبالغة عدد أو النوع ، على كلٍّ الجبار هو المصلح إن جبر الفقير أغناه ، وإن جبر المريض شفاه ، وإن جبر الذليل أعزه ، وإن جبر الضعيف قواه ، وإن جبر الخائف أمنه ، فالجابر هو المصلح والجبار كثير الإصلاح ؛ كمّاً ونوعاً ، هذا هو المعنى الثاني .

إذاً قل : يا جبار ، يقول التجار : يا جبار! لأن بيع البضاعة عند التاجر جبر ، وربنا عز وجل ما ذكر من صفات التجارة إلا صفة واحدة فقال :

﴿ وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾ [التوبة : ٢٤] .

ما من منظر يتفتت له قلب التاجر كأن يرى بضاعته مكدسة في المستودع ، ولا أحد يسأله عنها ، لذلك . . . الله عز وجل عندما ذكر التجارة ذكر الشيء المؤلم عند التاجر ، إذاً يا جبار! أي : يا رب

اجعل هذه البضاعة نافقة ، وحبب الناس بها ، واجعلهم يقبلون عليها .

« **يا جابر كل كسير** » .

فالحزانى في كنف الله ، إن الله يحب كل قلب حزين ، والحزانى معرضون للرحمة .

أي إذا كان المرء في خصومة ، وكان قوياً ، واستعمل قوته في الظلم ، فليس رابحاً ، وليس منتصراً لأن هناك جباراً أعلى سوف يقصمه ، روي في الأثر :

« **بئس العبد عبد تخيل واختال ، ونسي الكبير المتعال ، بئس العبد عبد تجبر واعتدى ، ونسي الجبار الأعلى ، بئس العبد عبد سها ولها ، ونسي المقابر والبلى ، بئس العبد عبد عتا وطغى ،ونسي المبتدأ والمنتهى** » .

أما إذا كان هذا المرء هوالجانب الأضعف فالجبار سيرحمه .

الجبار الذي يقصم الظالم ، والجبار الذي يرحم المظلوم ، فإذا كنت الجانب الأضعف كان الله معك ، فالله مع الضعيف ، والله هو الجبار ، سيجبر كسر الضعيف ، وهو الجبار سيقصم الظالم .

زوجان تخاصما ، أحدهما تجاوز حدوده ، هنيئاً لمن كان الأضعف ، هنيئاً لمن كان مظلوماً ، لأن الله مع المظلوم في الزواج ، وفي الشراكة ، وفي أي تعامل .

أب غني . . . ترك إرثاً كبيراً ، وترك أولاداً . . . وأحد أولاده كبير قوي ، والآخرون صغار ضعفاء ، الكبير استطاع بذكاء ، أو بحيلة ، أن يأخذ معظم الثروة له ، وأن يخص إخوته الصغار بشيء قليل ،

لايسمن ولايغني من جوع ، الله جبار ، يصلح الأمور ويقصم الجبابرة ، فما زال أحد إخوته الصغار يوفقه الله عز وجل ، ويمده ، وما زال الله عز وجل يضعف الكبير ، ويفقره ، ويسد الطرق في وجهه إلى أن اضطر الكبير أن يبيع الصغير كل ما أخذه من أبيه غصباً ، ثم اضطر الكبير أن يعمل عند الصغير محاسباً ومثل هذه القصص كثيرة جداً وكثير من كل الأسر .

اسم الجبار يقصم الظالم ، واسم الجبار يرحم المظلوم ، فالله جبار على الظالمين ، جبار للمظلومين ، جبار على الأقوياء ، جبار للضعفاء ، جبار على المتكبرين ، جبار للمتذللين .

فالجبار المصلح لكل الأمور ، المظهر لدين الحق ، الميسر لكل عسير ، الجابر لكل كسير ، وهذه صفة من صفة أفعال الله عز وجل إنها صفة فعل .

المعنى الثالث : الجبار بمعنى أنه جبره على كذا أي : أكرهه على ما أراد ، بمعنى أجبره ، الله عز وجل جبار أي : مشيئته هي النافذة ، أنت تريد ، وأنا أريد ، والله يفعل مايريد ، ورد في الأثر القدسي : « **أنت تريد وأنا أريد ، فإذا سلمت لي فيما أريد ، كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لي فيما أريد ، أتعبتك فيما تريد ، ثم لا يكون إلا ما أريد** » .

فرعون قال : ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات : ٢٤] ، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص : ٣٨] ، رأى في المنام أن طفلاً من بني إسرائيل سوف يقضي على ملكه ، فبدل أن يتوب إلى الله عز وجل ، وأن يعود عن غيه ، وعن ظلمه ، وعن كبره ، وعن ادعائه ، خطر في باله أن

يقتل كل أبناء بني إسرائيل ، وهكذا فعل ، لا تستطيع قابلة في عصره أن تخفي عن رجاله مولوداً ذكراً ولد لبني إسرائيل ، فإذا أخفت ذلك قتلت هي مكانه . . . يذبح أبناءهم .

أما هذا الذي سيقضي على ملكه ؛ فقد رباه في قصره ، الجبار الله عز وجل قهره ، وهو يغرق قال :

﴿ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس : ٩٠ـ٩١] .

إخوة يوسف أرادوا به كيداً ، فجعلوه في غيابات الجب ، أي : أرادوا أن يقتلوه ، ما الذي حصل ؟ دخلوا عليه وهو عزيز مصر قال : ﴿ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف : ٩٠] ويقول الله عز وجل موضحاً مغزى هذه القصة : ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١] ، هذه قصة ثانية .

إذاً الله جبار فقد أحبط مسعى إخوته الذين أرادوا أن يجعلوه في غيابة الجب ، وأرادوا أن يقتلوه ، ثم صار عزيز مصر ، إذاً الله جبار .

قوم إبراهيم أرادوا أن يحرقوه ، وأن ينتهوا منه ، والأمر بيدهم ، وهم أقوياء ، وجاؤوا بالنار ، وأضرموها ، وألقوا إبراهيم عليه السلام فيها ، وكان من الممكن أن يتفلت من أيديهم ، كان من الممكن أن لا يعثروا عليه ، كان من الممكن أن تأتي أمطار غزيرة فتطفىء نارهم ، كان من الممكن ألا يعرفوا من كسر هذه الأصنام ، لكن أراد الله عز وجل أن يعرفوا أنه كسرها ، وهو فتى ، وأن يعترف

بفعلته ، وأوقدوا النيران ، واشتعلت النيران ، وألقوه في النار ، الله جبار . . . قال تعالى :

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩-٧٠] .

النبي عليه الصلاة والسلام ، ائتمروا على قتله ، قاطعوه ، نكلوا بأصحابه ، ثم دخل عليهم فاتحاً ، وهم رهن إشارة منه ، لو أعطى إشارة لقتلوا جميعاً قال : « ماتظنون أني فاعل بكم » ؟ فقالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم فقال : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم »[1] الله جبار .

في غزوة الخندق ضاق الأمر على النبي وأصحابه إلى أن ظن بعض أصحاب النبي أن الأمر قد انتهى ، وتكلم قوم بكلام قبيح فقال معتب بن قشير : يعدنا محمد كنوز قيصر وكسرى ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى حاجته!! ما الذي حصل ؟ هبت الرياح العاصفة ، فقلبت قدورهم ، واقتلعت خيامهم ، وأطفئت نيرانهم ، قال تعالى :

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] .

إذاً المعنى الأول من معاني الجبار : الشيء العالي الذي لايدرك ، فهو من أسماء التنزيه ، أي : من المستحيل بأن تحيط بالله عز وجل ،

---

(١) وفي المسند وسنن الترمذي : قال رجل لا يعرف : لا قريش بعد اليوم ، فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمن الأسود والأبيض إلا فلاناً وفلاناً ناساً سماهم ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » فقال رسول الله : نصبر ولا نعاقب .

حتى الأنبياء لم يعرفوا الله المعرفة المطلقة ، عرفوا جانباً من كمال الله عز وجل ، عرفوا طرفاً من أسمائه ، فلا يعرف الله إلا الله .

المعنى الثاني للجبار : المصلح ، الضعيفَ يجبره ، الكسيرَ يجبره ، المظلومَ يجبره ، الفقيرَ يجبره .

أما المعنى الثالث : فهو الذي يجبر جميع الخلق على مشيئته ، وعلى إرادته .

والله لقد سمعت قصة مؤثرة رجل معروف بالغنى الفاحش يعمل في تجارة ناجحة جداً ، ورائجة جداً ، ويحصل منها على أرباح طائلة خطب ابنته شاب مهندس ، أخلاقي ، دخله دخل مهندس ، رفضه لفقره ، لكن رفضه كان باستعلاء ، وبكبر ، وبغطرسة ، هذه التجارة الرائجة ، أساسها قانون ، هذا القانون ، أوقف العمل به ، فجأة توقفت تجارته ، فجأة أصبح تحت طائلة المطاليب ، هذا العم الغني ، تراجعت تجارته شيئاً فشيئاً إلى أن أصبح بحاجة إلى مصروف يومه ، ثم توسط لدى بعضهم أن يقنع الشاب المهندس أن يطلب ابنته مرة ثانية ، وتزوجها هذا المهندس ، وقد وفقه الله عز وجل في عمله ، ، ثم عمل العم عند صهره المهندس موظفاً ، الله جبار .

امرأة قالت لضرتها التي لا تنجب ، في بطني ولد وعلى يدي ولد ، وها هو ذا ولد أمامي ، ثلاثة أولاد ، ولد يتحرك أمامها وولد ترضعه ، وولد في بطنها ، من يصدق أن هؤلاء الأولاد الثلاثة ماتوا تباعاً ، وأن التي لا تنجب رزقها الله خمسة أطفال ذكور ؟!

الله الجبار ، مع الضعيف المظلوم المقهور ، ومع الكسير الحزين المستضعف ، الله عز وجل معه دائماً يؤيده ، وينصره ، ويوفقه ،

أقول أنا أعرف من هو المظلوم ، ومن هو الظالم من مستقبل الشريكين ، فالذي وفقه الله عز وجل هو المظلوم ، والذي قصمه الله ، هو الظالم في الأعم الأغلب .

الزوجان ؛ طلقت امرأة من زوجها وهو يدعي أنها زوجة سيئة ، وهي تدعي أنه زوج سيىء ، في المستقبل إذا وفقت بزوج صالح أكرمها وورط الزوج بزوجة سيئة أزعجته ، معنى ذلك أنه كان ظالماً لها .

ويروى أن رجلاً كان جالساً مع زوجته يأكلان الدجاج طرق الباب طارق ، قامت الزوجة لتفتح الباب فكان بالباب رجل سائل ، ورغبت الزوجة أن تعطيه شيئاً من الطعام ، فنهرها زوجها وقال : اطرديه ، دارت الأيام وطلقت هذه من زوجها ، وخطبها إنسان ميسور الحال ، وهما جالسان يأكلان هذا الطعام نفسه ، ولحكمة بالغة طرق الباب ، فانطلقت لتفتح الباب ، فاضطربت قال زوجها : من الطارق ؟ قالت : سائل ، قال : لماذا اضطربتِ ، قالت : أتدري من السائل ؟ إنه زوجي الأول ، قال : أتدرين من أنا ؟ أنا السائل الأول ، الله هو الجبار .

وفي كل زمان وفي كل مكان وفي كل عصر وفي كل مصر تجري مثل هذه القصص ، غني يفتقر ، فقير يغتني ، ضعيف يقوى ، قوي يضعف ، كم من إنسان كان في قبضة إنسان ، يذيقه ألوان الإهانة والعذاب ، فجأة وقع هذا القوي في قبضة المستضعف ، فالإنسان المؤمن لو أن الدنيا أقبلت عليه ، عليه أن لا يتكبر ، ألايتجبر ، ألا يتعجرف .

والحقيقة ؛ كما أن الله عز وجل يعطي المال بحجم كبير ، فيدهش ، ويأخذه دفعة واحدة ، فيدهش .

كان هناك طبيب نسائي جبار ، لا يوجد في دمشق غيره ، قصة وقعت منذ سبعين عاماً تقريباً ، لا يخرج من العيادة إلا بليرة ذهب وعربة ، لتنقله ، لعدم وجود السيارات في زمنه ، لابد من دفع الليرة الذهبية ولو كانت المريضة فقيرة ، ذكر لي بعضهم أن بعض الناس يضطرون لبيع الفراش من تحت المريضة ليعطوه الليرة ، ولادة عسرة ، وطبيب وحيد في البلد ، ولا يخرج من بيته إلا بليرة ذهب وعربة .

بنى بناء في أرقى أحياء دمشق ، والبناء موجود الآن وهو من أندر الأبنية ، بعد ما بناه أصيب بالفالج ، تحملته زوجته زمناً يسيراً ثم أمرت زوجته أن يوضع في قبو البناء ، فوضعوه في القبو ، وكانت تبعث له الطعام مع الخادمة ، فيسألها عن زوجته فتقول له : قلت لها ولا أدري لم لا تحضر ، وقد طلبها أول مرة ، والثانية ، والثالثة ، وحينما تطل عليه زوجته بعد طلبه الملح تسمعه أقسى الكلمات ، وتغيب عنه ، بقي مشلولاً ثماني سنوات ، ويقدَّم له الطعام عن طريق الخادمة ، وبسبب من الرائحة الكريهة التي تفوح من القبو أمرت زوجته أن ينقل إلى بيت بعيد ليبقى هذا البناء أنيقاً ، وبعيداً عن رائحته الكريهة وعن صراخه ، وهو الذي بنى هذا البناء وزينه وزخرفه .

الله جبار ، لم يكن هذا الطبيب يرحم المرأة الفقيرة ، فيباع الفراش من تحتها ، ليأخذ الليرة الذهبية .

و كل إنسان يتجبر ، ويتحكم بالناس ؛ بعلمه حيث يقول :

لا يوجد غيري في هذا الاختصاص ، أو بماله ، أو بقوته ، فليعلم أن الله جبار .

والله جبار مع الضعيف ضد القوي ، مع المظلوم ضد الظالم ، ومع الفقير ضد الغني الظالم ، وليس كل غني بظالم .

فالله عز وجل جبار ، هذا هو المعنى الثالث جبره على كذا أي : أكرهه على ما أراد .

الجبار : هو الله عز وجل الذي أجبر الخلق على ما أراد وحملهم عليه ، أرادوا أم لم يريدوا ، أحبوا أم لم يحبوا ، أي : لا يجري في ملكه إلا ما يريد ، ولا يحصل في كونه إلا ما يشاء ، ينفذ مشيئته على سبيل الإجبار ، ولا تنفذ فيه مشيئة أحد ، سبحان من تنزه عن الفحشاء ، وسبحان من لا يجري في ملكه إلا ما يشاء .

فبعد توضيح المعنى الدقيق للجبار هل للإنسان علاقة مع غير الله عز وجل ، هل يوجد جهة غيرالله عز وجل أهل لأن تسأل وأن تخاف .

قال أحد العارفين : « **يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يرجو أحداً غيرك ، وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين على أمر بأحد غيرك ، وعجبت لمن يعرفك كيف يلتفت إلى أحد غيرك** » .

بعضهم قال : « **الجبار من لا يرقى إليه وهَمٌ ولايشرف عليه فهمٌ ولا يلحقه إدراك ، ينفذ أمره في كل شيء ، ولا ينفذ فيه أمر شيء ، من أصلح الأشياء بلا اعوجاج ، وأمر بالطاعة بلا احتياج** » .

هذا من تعاريف اسم الجبار .

وإذا كان الإنسان جباراً بالمعنى المذموم ، لا بد من أن يقصمه الله

عز وجل ، لكن يمكن للإنسان أن يكون جباراً من زاوية واحدة ، فمن لم يكن أسيراً لحب المال ، والجاه ، لأن كل إنسان يحب المال يصبح حب المال نقطة ضعف فيه ، أصبح ضعيفاً ، مفتاحه المال يقولون : فلان مفتاحه المال ، فلان تعظمه ، فيلين معك ، هذا يحب الجاه ، فكل إنسان أسير للمال أو الجاه هذا إنسان ضعيف ، فإذا تنزه الإنسان عن حب المال ، وحب الجاه ، أصبح جباراً بالمعنى الذي يليق بالإنسان ، لم يبق إنساناً ضعيفاً تستطيع أن تملك مفتاحه .

فالمؤمن مفتاحه الحق لا يوصل إليه لا بالمال ولا بالمديح ، لا تصل إليه إلا بالحق ، فإذا كان هناك مؤمن أحب أن يتخلق باسم الجبار لا بمعنى المتكبر ، ولا بمعنى القهار ، ولا بمعنى الذي ينفذ مشيئته ، بل بمعنى أنه ليس محتاجاً إلى مديح ولا إلى ثناء ولا إلى مال .

ففي كل شخص مهما يكن قوياً ، نقطتا ضعف ؛ المال والنساء ، ولا يوجد إنسان يتآمر على إنسان إلا بهاتين النقطتين ، إما بامرأة تغريه فيسقط ، وإما بمال يأخذه حراماً فيسقط ، فإذا كان الإنسان محصناً من المال والنساء ، لا يستطيع أعداؤه النيل منه .

فالجبار من الناس الذي يجبر الخلق بهيئته وصورته وأمانته وصدقه وعفته واستقامته على أن يقتدوا به ، يفيد ولا يستفيد ، ويؤثر ولا يتأثر ، هذا هو النبي عليه الصلاة والسلام ، بلغ من الكمال درجة أنه يعطي ولا يأخذ ، ينفع الخلق كلهم ولا ينتفع منهم ، يؤثر فيهم ولا يتأثر ، روى مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم غنماً بين جبلين ، فأعطاه إياه ، فأتى

قومه ، فقال : أي قوم! أسلموا ، فو الله! إن محمداً ليعطي عطاء ما يخاف الفقر .

إذاً الجبار إذا أمكن لإنسان أن يكون كريماً فعليه أن يتنزه عن حب المال ، وعن حب المديح والجاه .

* * *